الصناعات الريفية
بين التصميم ... والتركيز

للمهندس الزراعى محمد على كساب

كبير الإخصائيين بمصلحة البساتين

مقـــدمة :

ستظل الدعوة إلى التصنيع الريفى قائمـــة بالريف المصرى ما دامت العوامل الاقتصادية والاجتماعية تدعو إلى ذلك ، وستبقى داعية إلى ذلك حتى يمكن التغلب على بعض المشكلات التى تتحكم فى حياة الريف المصرى ومن أهمها ما يأتى :

١ــ الزيادة المطردة فى السكان سنة بعد أخرى .

٢ــ جمود الرقعة الزراعية وعدم مسايرتها لاطراد الزيادة فى السكان .

٣ــ عدم اســـتغلال الطاقة الإنتاجية لسكان الريف استغلالا كاملا زراعياً وصناعياً .

٤ــ هبوط مستوى المعيشة لسكان الريف بسبب قلة مواردهم المالية .

٥ــ هبوط مستوى التعليم بين الريفيين وتفشى الجهل والأمية .

والصناعات الريفية يمكن تعريفها بأنها الصناعات التى يمارسها الفرد من تلقاء نفسه ذكراً كان أو أنثى ، وقد يتوارثها عن أهله أو جيرانه من أهل قريته أو القرى القريبة منه ، متخصصاً فيها وشاغلا بها كل وقته أو بعضاً منه ، ومستعيناً بدخلها مضافا إلى دخله من الفلاحة على تصريف أمور معيشته ، ومستغلا فيها بعض الخامات الزراعية التى تتوافر فى محيطه الريفى .

الاستغلال الصناعى الريفى :

لابد أن يكون للقائمين على سياسة التصنيع الريفى سياسة ثابتة وبرامج سليمة مدروسة حتى نضمن النجاح والاستقرار والفائدة المرجوة من هذه السياســـة

الاقتصادية والاجتماعية ، ويمكن تلخيص بعض هذه البرامج فيما يلى :

١ — القيام ببحث شامل للوضع الراهن للصناعات الريفية القائمة الآن فى الريف المصرى من حيث توافر الخامات ، وفى ضوء ما تسفر عنه هذه البحوث تحدد أنواع الصناعات الواجب ادخالهـا فى الريف كل بحسب ظروفه الزراعية والبيئة المحيطة به .

٢ — القيام بدراسة وافية على أساس علمى وعملى ، لتقدير مستوى الكفاية الانتاجية فى الصناعات الريفية القائمة الآن فى الريف المصرى ، وذلك لدعم وتشجيع الصناعات ذات الكفاية الانتاجية العالية والتخلص مما عداها من أشباه الصناعات التى تعد عبئاً ثقيلا على الاقتصاد القومى .

٣ — القيام بدراسة شاملة للمناطق المتشابهة زراعيا واقتصاديا لتكون نواة صالحة لتركيز الصناعات الريفية المناسبة فى كل منطقة بدلا من بعثرة المجهود المادى والعملى منها فى مناطق مجدبة صناعياً .

٤ — القيام بدراسة إمكانيات رواج الصناعات الريفية وتصريف منتوجاتها فى أسواق القرى أو فى المدن أو فى التصدير للخارج .

٥ — القيام بدراسة إمكانيات ووسائل تمويل الصناعات الزراعية الريفية بحيث يكفل لها النجاح والاستمرار ، وهل تكون فردية أو جماعية ، شخصية أو تعاونية .

٦ — القيام بدراسة شاملة لجميع الأسباب التى تكفل إنتاج منتجات صناعية ريفية رخيصة جيدة الصنع ، سهلة التصريف ، ذات طابع ريفى قومى ، تشتهر به للصمود فى وجه المنافسة .

التخصص فى الصناعات الريفية :

كثير من القرى المصرية اشتهر بإحدى الصناعات الريفية فأكسبها ذلك اعتداداً وشهرة حتى سميت صناعاتها الريفية ومنتوجاتها بأسمائها ، فمثلا قرية كوم النور اشتهرت بوفرة أنوال النسيج فسميت منتوجاتها باسم « نسيج كوم النور » وأخميم اشتهرت بوفرة مصنوعاتها الحريرية فسميت « حرير أخميم » وديرمواس اشتهرت

بصناعة العسل الأسود كما اشتهرت قرى أخرى بصناعة الأكلمة والسجاد ، واشتهرت غيرها بالعديد من الصناعات الأخرى. ولذا يجب أن نضع نصب أعيننا أن تكون الأهداف المرجوة من إدخال ونشر الصناعات الريفية مناسبتها لنطاق طبيعة القرية الزراعية وأن تشيد تلك الصناعات على أساس أنها صناعات ريفية تخصصية زراعية تقوم على استخدام الفائض من الخامات الزراعية التى تتوافر فى كل منطقة واستغلال المجهود الإنتاجى الكامل للسكان .

تركيز الصناعات الريفية أفضل من تعميمها :

قد يكون من غير المناسب فى كثير من البلدان وتحت الكثير من الظروف تطبيق الرأى القائل بتركيز الصناعات الريفية ، ولكن يمكن الأخذ بهذا الرأى فى مصر مراعاة للظروف القائمة الآن فى ريفها . فمصر بلد زراعى ، وريفها فى حاجة شديدة إلى الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى والصحى والتعليمى . فلنشر أنسب الصناعات الريفية فى القرى المصرية يجب أن نأخذ فى الحسبان جميع الظروف والعوامل المحيطة بالقرى المختلفة وبسكانها ، وأن نقوم بإجراء حصر دقيق لجميع القرى المصرية الموجودة بها صناعات ريفية ذات قيمة اقتصادية ثابتة ، ونعمل على تدعيم تلك الصناعات فيها وتلمس أوجه إصلاحها وتثبيتها حتى تصبح صناعات ثابتة مكملة للصناعات الإنتاجية الكبيرة . وهذا لا يتأتى إلا عن طريق تركيز الصناعات فى البيئات الصالحة لإنتاجها بسبب وفرة خاماتها وأياديها العاملة المتخصصة ، ومناسبة مناخها وبيئتها وسهولة سبل مواصلاتها وقربها لأسواق التصريف . وهذا يستتبع تركيز الجهود بدلا من تشتيتها فيسهل على القائمين بالإرشاد والإشراف ممارسة أعمالهم دون عناء أو مشقة .

ومن رأيى أن تقسم الجمهورية المصرية إلى مناطق تركز فيها الصناعات الريفية، كل منطقة بحسب ما تشتهر به من صناعات ريفية قديمة ، وبما يتوافر فيها من خامات زراعية رخيصة ، وبما يوجد بها من أيد عاملة متخصصة فى صناعة معينة ، وكل منطقة قد تشمل عدة قرى متجاورة متجانسة فى الإنتاج الزراعى وفى التخصص العملى وفى الميول الإنتاجية . ومما لا شك فيه أن الأخذ بهذه السياسة فيه توفير للجهد والمال ، ويمكن تلخيص مزايا هذا النظام فيما يلى :

١ — تركيز الصناعات الريفية فى مناطق معينة تركيزاً يؤدى إلى استغلال المواد الخام فى تلك المناطق إلى أقصى حدود الاستغلال .

٢ — يراعى فى التركيز استغلال الطاقة البشرية لسكان المناطق استغلالا كاملا .

٣ — يؤدى التركيز إلى إتقان المنتجات الصناعية الريفية إلى أقصى حدود الاتقان .

٤ — التركيز يكسب المنتجات الصناعية الريفية الطابع القومى الفنى الممتاز .

٥ — التركيز يسهل تمويل الصناعات الريفية بواسطة الهيئات المالية كالجمعيات والبنوك .

٦ — يسهل التركيز عمليات تسويق المنتجات فى الأسواق المحلية أو الخارجية

٧ — الاشراف والتوجيه يكون أسهل وأوفى وأتم فى حالة تركيز الصناعات الريفية فى مناطق محدودة .

٨ — تركيز الصناعات الريفية فى مناطق محدودة يخفض تكاليف انتاجها ويجعل تصريفها سريعاً ، لانعدام عوامل المنافسة بسبب خفض أسعارها عن أسعار المنتجات المماثلة .

٩ — تركيز الصناعات يسهل تزويدها بالأجهزة والآلات المبسطة ، وبالتالى يحسن سرعة الانتاج واتقانه ويخفض تكاليفه ويسر التفتيش على الأدوات والأجهزة وصيانتها .

١٠ — تركيز الصناعات يعتبر جزءاً من السياسة العامة للتصنيع التى يجب أن تتبعها الدولة لتمويل اقتصادياتها وتحويله من اقتصاد زراعى بحت إلى اقتصاد زراعى وصناعى تتوازن فيه الزراعة والصناعة .

١١ — تركيز الصناعات الريفية فى مناطق معينة يسهل تحويل تلك المناطق تدريجياً من مناطق زراعية ريفية إلى مناطق صناعية كما حدث فى تركيز صناعة الغزل والنسيج فى المحلة الكبرى وشبرا الخيمة وكفر الدوار .

١٢ — تركيز الصناعات الريفية يرفع مستوى العامل الزراعى ، ويزيد دخله وموارده ، وينهض اجتماعياً وصحيا وثقافيا بالمناطق القائمة بها الصناعات والمناطق القريبة منها .

١٣ — تركيز الصناعات الريفية ينمى هذه الصناعات ويؤدى إلى اجادتها بحيث تكون مكملة للاقتصاد الصناعى العام فلا ينظر إليها على أنها مجرد صناعة يدوية بسيطة للتسلية أو لشغل أوقات الفراغ ، بل ينظر إليها كعامل اقتصادى هام فى كيان الدولة الاقتصادى .

١٤ — تركيز الصناعات الريفية يحل مشكلة البطالة فى الريف ويعالج تزاحم السكان فى المدن ، ولا يخفى ما لذلك من أثر فى حل كثير من المشكلات الاجتماعية بحصول كل منطقة على نصيبها من الصناعات الريفية المختلفة التى تتناسب مع بيئتها . وبذلك يمتص الزائد من العمال الزراعيين الذين يهاجرون من قراهم إلى المدن الكبيرة فراراً من التعطل وطلبا للرزق فتهيأ لهم سبل العيش والارتزاق فى ريفهم، ويعملون فى صناعات معينة ذات دخل مكافىء .

١٥ — تركيز الصناعات الريفية فى المناطق التى تصلح لها يوفر على القائمين بها كثيراً من تكاليف الإنشاء ، إذ يتيسح لهم الانتفاع بالقوى المحركة القائمة بتلك المناطق كما كينات الرى والطحن وما إليها ، ومما لا شك فيه أن ذلك يعمل بالتالى على خفض تكاليف الانتاج وسرعته واتقانه .

١٦ — تركيز الصناعات الريفية فى أماكن معينة يؤدى إلى انتاج طبقة معينة من العمال المتخصصين ذوى الخبرة الفنية الخاصة ، وليس يخاف ما لهذا العامل من أثر فعال فى انعاش الصناعة ورخص أثمانها وجودة خواصها .

١٧ — تركيز الصناعات الريفية المتشابهة فى مناطق معينة فى حالة الصناعات التجهيزية يسهل عملية انشاء مصنع فى منطقة قريبة لاستيعاب تلك المنتجات الأولية ثم تصنيعها تصنيعا نهائيا وإخراجها على حالة منتجات رخيصة الثمن ، متقنة .

١٨ — تركيز الصناعات الريفية فى المناطق المخصصة لها يسهل انشاء مراكز تدريبية لعمال تلك المناطق يتدربون فيها على الصناعات القائمة فيها ثم يوزعون على المراكز الصناعية بعد تدريبهم ، وفى هذه الحالة لا يكونون غرباء عن أهلها .

ولا يفوتنى قبل أن أختتم هذه الكلمة عن « الصناعات الريفية بين التعميم والتركيز » أن أنوه بأن المسئولين فى العهد الحاضر قد صح عزمهم على تحرير

الريف المصرى وأهله مما يعانيه من أمراض اجتماعية وصحية وثقافية ، وعلى رسم السياسة المثلى الكفيلة بذلك ، وإن من أبرز الأسس التى تقوم عليها تلك السياسة العمل على رفع مستوى الريف وساكنيه من جميع النواحى . وفى اعتقادنا أن خير علاج له لن يكون الا عن طريق زيادة دخل سكانه ، ولن يكون ذلك الا بتنويع وسائل ارتزاقهم وعدم جعلها مقصورة على الزراعة البحتة ، بل عن طريق التوازن بين الزراعة والصناعة .

كما لا يفوتنى أن أنوه بأن الريف المصرى غنى جدا بخاماته الزراعية وبموارده الأولية التى تصلح لإدخال كثير من الصناعات الزراعية الريفية وتوزيعها على المناطق الأكثر مناسبة لها ، كما أن سكانه ذوو ذكاء فطرى يمكن تنميته واستغلاله فى النواحى الصناعية ، والبيئة الريفية المصرية صالحة لاستيعاب كثير من الصناعات الريفية سواء من ناحية صناعتها أو تصريفها .